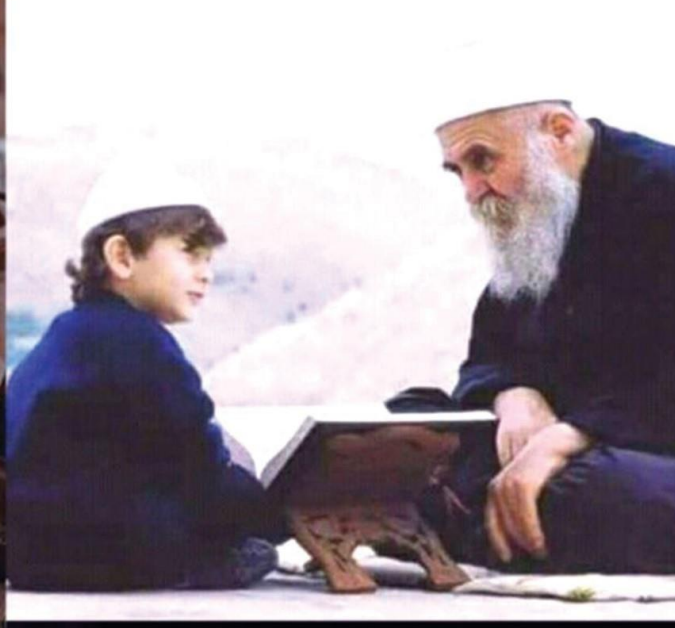

قصة قصيرة | قصة قصيرة | قصة قصيرة | قصيرة

في رحاب طلب العلم

دينا أحمد سعيد

منشورات الواحة

في رحاب طلب العلم

دينا أحمد سعيد

© جميع الحقوق محفوظة لدى منشورات الواحة.
عنوان الكتيب: في رحاب طلب العلم.
تأليف: دينا أحمد سعيد.
نوع الكتاب: قصة قصيرة.
الناشر الإلكتروني: منشورات الواحة.
الرقم الدولي **EBIN**: 38-023-1-231125

لمتابعة جديد منشورات الواحة:

واتس: 00967779284583

إنستقرام: **manshurat_alwaha** تيليجرام: 9dWSGDis.gd/

للتواصل مع المؤلفة: insta: dina9_ahmed

يسمح بنشر محتوى هذا الكتاب بأي شكل من أشكال النشر الإلكتروني فقط مع تضمين وسم: (#في_رحاب_طلب_العلم).

ولا يجوز اقتصاص أي جزء من هذا الكتاب بهدف إهدار حقوق الملكية الفكرية أو إعادة إنتاجه بشكل مادي أو معنوي إلا بموافقة المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي منشورات الواحة

منشورات الواحة

كُتب هذا العمل -رغم صغر عمله- لوجه الله،
أدعوا الله أن يتقبله مني.

المقدمة

الأحداث التي تحدث منذُ بداية عام 2023؛ كفيلة بأن تعيد وجهة الشخص إلى الطريق الصواب، أما عن أحداث فلسطين فإنها تفوق الخيال مما يحدث معهم! ومن قوة إيمانهم بالله ويقينهم، وصمودهم.

إذ جاء قومٌ بعدنا سأخبره إنه كنا نسمع عن شجاعة الصحابة رضون الله عليهم منذُ آلاف السنين في الكُتب وعلى لسان الشيوخ، ولكن الآن نراهم أمام أعينا على أرض فلسطين!

لذلك قمتُ بكتابة قصة "طالبُ للعلم" بعيدًا عن الأحداث التي تحدثت؛ لتكون لي شفيعٌ يوم القيامة "يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم".

شمسٌ ملتهبة وأرضٍ خاوية يمشي على ظهرها رجلٌ طويل القامة، عريض المنكبين، شارف عمره الأربعون، يمضي بأقدام مُثقلة، مُتلبد العرق على جبينه وينحدر البعض منه على وجنتيه، يزفرُ أنفاسه بتململ بين الحين والآخر، أشعة الشمس تلسعه بحرارتها، شعره أشعث أغبر، والاحمرار في عينيه يكادُ أن يتلفظ من فِرط احمرارهما!

ذهب بنظره إلى كرسي خشبي يتوسط الرصيف ليس هناك أحدًا يجلس عليه، تقف بجانبه شجرة سامقة، تنثر وريقاتها وتعمل بدورها على تظليل الكرسي، مسح بذراعيه حُبيبات العرق من على جبينه، هتّف في جُحر نفسه: «سأجلس عليه لبعضٍ من الوقت؛ ليرتاح جسدي المُتعب من طول الطريق، فلا علم لي بعد إلى أين سأذهب؟»

سحبته قدميه وجلس على الكرسي يستمدُ من ظِلها الوارف، تنفس الصعداء، وأطلق تنهيدة فجرت قفصه الصدري من عُمقها: «يا الله».

جاء صوته مُتسائل: «أنت بخير؟»

رمقه بنظرةٍ دُفنت فيها جميع ملذات الحياة، راءه واقف أمامه يحملُ بين أحضانه مجموعة من الكتب، لم يبالي به، وعاد بنظره إلى الأرض.

جلس الشاب بجواره، مسدّ على فخذه قائلاً له: «لا تقلق، ستُّمر سحابة الحزن فما نحنُ في هذه الدُنيا إلا عابرون، وجُّل أحزاننا ستنطفئ حين نتذوق من نعيم الجنة، وحلاوتها.»

أجابه الرجل بوجم: «أي سحابة حُزن ستُّمر! ها أخبرني بذلك... أنظر أنك في عقدك الثاني، وها أنت تحملُ كتبٌ بين يديك، يبدو إنك طالبٌ في جامعة ما، أليس كذلك؟! تعلم إن كان ولدي على قيد الحياة! لكان الآن في مقتبل عمرك، ولربما كان سيبذلُ جُّل ما في وسعه لمساعدتي على مواجهة مُنغصات الحياة، صمت

قليلاً وعاد للحديث مرة أخرى واللعاب يتطاير من بين شدقيه، ولكن أنت بماذا كُنت تهذي! تحدث... يبدو أنك من الأغنياء؛ فملابسك تتحدثُ عن ذلك، شمّ رائحته أنظر إلى رائحتك إنها من روائح الأغنياء، تبسم الشاب بحفاوة قائل:

- وهل هُناك رائحة خاصة للأغنياء؟

زمجر الرجل غاضبًا:

- نعم، نعم هناك رائحة للأغنياء، رائحة تفوحُ منها المسك، والعطور الفواحة بجميع أنواعها وأسعارها، أما نحن (مُشير بيده إلى صدره) تفوح منّا رائحة العرق النتنه، والمُخلفات!

صمت الشاب وأطلق عقيرته للسماء: «ليس كذلك يا عمّ، "فالغني من اغتني بالله دونًا عن سواء، من رضى بقدره ونصيبه، الغني من أيقن وآمن إن الدنيا ليست داره، وما نحنُ إلا ضيوف على أرضها، سنمضِ اليوم أم في الغد"، أما بالنسبة إلى الكُتب التي أُحملها،

فأطمئن بذلك لا أتعلم في الجامعة، أتعلم عن طريق الانترنت و ... قاطعه الرجل:

- أتسخرُ مني أيها الشاب الغني؟ ومال بشفتيه إلى اليسار باستهزاء.

نظر إليه الشاب بنظرة حانية وأردف:

- أنك تُسيء الظن بيّ مرةً أُخرى! أليس ذلك ظلمُ بحقيّ! وأنا مثلما قُلت في السابق عمري مثل عُمر ولدك؟ لن انتظر منك أن تُجيب، أنا يا عم شاب نُزفت أحلامه حين تلقف الموت والداي منذُ كُنت في العاشرة من عمري، ولم يبقَ لديّ إلا جدتي التي نيّف عُمرها الستين عامًا، ولابد أنه كان مني البحث عن العمل؛ لأعيلها وأُعيل نفسيّ، غادرتُ المدرسة من يومها، وبدأت رحلة النضال في البحث عن العمل، رمى بنّا صاحب المنزل في الشارع؛ كوننا لم ندفع ايجار المنزل لثلاثة أشهر!

أتعلم ما كان ذنبي؟ هز الرجل رأسه بنفاذ صبر: «ماذا؟»

- ذنبي إنني كُنت طفل وقتذاك، ولم يكُن هناك من يصرف ليّ مُرتب يزيد على مال الايجار، كل المُرتبات الذي صُرفت لي كانت لا تصل إلى نصف سعر الايجار، نمتُ أنا وجدتي في الجامع لأعوامٍ وأعوام أتعلم ذلك؟ لا، أنك لا تُجيد إلا سوء الظن، وكأن ليس هناك سواك من غُلقت أبواب الحياة أمامه! أتظنُ أنك بمفردك من أُغلقت عليه الأبواب؟ أنت للأسف نظرت إلى الحياة من منظورك الضيق، ولم تنظر إلى الجهة الأُخرى، لم تنظر إلى النعم التي أنعمك الله بها فقط أنت... صاح الرجل:

- أجئت إلى هُنا تلقي على مسامعي خُطبةٌ لا مثيل لها! صفق بيديه بحرارة أحسنت لقد كانت خُطبة ماتعة، هيا انصرف، ودعني بمفردي، لم يكُن ينقصني إلا أنت، معتوه، غني...

صدح صوت المؤذن مناديًا لصلاة الظهر، فُتر ثغر الشاب باسمًا:

- عمي هناك طلب آخر، هل ستنصت لي؟

صاح بغضب: وهل سترحلُ بعد ذلك؟

اماءة الشاب رأسه بالموافقة، أردف الرجل:

- ما هو طلبك؟

رفع الشاب ابهامه في الهواء، أتسمعُ ذلك؟

عقد الرجل جبينه: «أتسخر مني مرة أُخرى؟»

حرك الشاب رأسه نافيًا، دعنا نذهب إلى الجامع، وبعد ذلك سأدعك وأرحل.

نكس الرجل رأسه بخجل وصمت لثواني قائلاً بحزن: «ولكنني لا أُصلي»

وضع الشاب يده على كتفه بلهفة قائلاً: «لا عليك بذلك لنذهب». ومد يده ليمسك بذراع الرجل يجره بسرور، وتبعه الرجل دون أن ينبس ببنت شفه! اغرورقت عينيه وهو ينظر إلى الشاب أمامه، وممسكًا بيده، يلتفت إليه بحنو بين الثانية والأُخرى، انحدرت دمعته على وجنتيه، وترك قدميه تسابق الرياح، أحس الشاب بسرعة خُطى الرجل، وأسرع هو الآخر.

وصلا كلاهما إلى باب الجامع، توقف الرجل وازدرا لُعابه، أغمض الشاب عينيه باطمئنان، وسحب ذراعه إلى دورة المياه.

هتّف أحد الحاضرين: يوسف (الشاب) لقد تأخرت، هيا أصعد إلى المنبر.

رمقه الرجل بِحيرة: «ماذا يقصد الرجل بذلك؟»

وضع "يوسف" يده على ظهر الرجل: «هيا فقد حان موعد اقامة الصلاة».

صعد "يوسف" على المنبر وبدأ بإقامة الصلاة بسورة الفاتحة، وتلتها آية: ﴿قُل يا عِبادِيَ الَّذينَ أَسرَفوا عَلى أَنفُسِهِم لا تَقنَطوا مِن رَحمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغفِرُ الذُّنوبَ جَميعًا إِنَّهُ هُوَ الغَفورُ الرَّحيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

انتهى "يوسف" من الصلاة، وذهب للجلوس بجانب الرجل ليجده غارق في بحر من الدموع: «لماذا تبكي؟»

ذفن الرجل وجه بين كفيه: «لماذا قنطت من روح الله؟ لماذا لم أصلِ والراحة والطمأنينة توجد في

الصلاة، لماذا لم أتمعن من قبل في القرآن، نعم أسمع القرآن بين الحين والآخر، لكنني لا أشعرُ بلذته».

أردف يوسف:

- لا بأس، بإمكانك الصلاة بعد الآن، وقراءة وسماع القرآن، والمجيء إلى هنا للتعلم.

غضن الرجل جبينه مستفهم: «أتعلمُ ماذا؟»

- تحفيظ القرآن، وطلب العلم.

قال ساخرًا:

- أكنت تكذب عليّ حين اخبرتني إنك تتعلم من الانترنت؟

حرك "يوسف" رأسه يمنة ويسرة نافيًا:

- أُقسمُ لك لم أُكن أكذب، ولكني أتعلم من الانترنت منذُ أربعة أعوام (العلم الشرعي) وهذا عامي الأخير في الانترنت، وهنا أُعلم ما تعلمته من دراستي في الانترنت، أما الكتب الذي في يديّ فأنا أقوم بشراء الكُتب المختارة للدراسة في العلم الشرعي، وأحضر سماع الصوتيات من البرامج المُخصصة للدراسة.

- ولكن ماذا يعني طالب علم؟ وماذا يعني علم شرعي؟

زفر "يوسف" أنفاسه: «يبدو أنك تُصدق حديثي.»

- نعم، فتلاوتك شفعت لك عندي.

ضحك "يوسف" حتى ضاقت عينيه من الضحك، إنك رجل جيد من الداخل أشعرُ بذلك قبل أن ابدأ أخبرني ما هو اسمك؟

- عصام.

- حسنًا يا عم عصام، سأخبرك عن العلم الشرعي، وأهمية طلب العلم.

العلوم الشرعية: هي العلوم التي يُعرَف بها الله تعالى، ويُعرَف بها كيف تكون العبادة الصحيحة، ويشمل ذلك كل العلوم المتعلقة بدراسة الدين وفقه الشريعة، مثل علوم القرآن، وعلوم السنة والحديث الشريف، وعلوم العقيدة، وعلوم الفقه وأصوله، وعلوم الأخلاق، وغير ذلك مما يتعلق بالشريعة والدين.

إن طلب العلم الشرعي له مقاصد عديدة، من أهمها وأولها:

"أنه به يعرف الله سبحانه وتعالى، فبالعلم الشرعي يعرف الإنسان ربه سبحانه وتعالى، يعرف ما لله جل وعلا من الأسماء، وما له من الصفات، وما له من الأفعال، هذا فيما يتعلق بذاته جل وعلا".

أردف عصام:

- ولكننا نعرف الله، وأنه خالق هذا الكون.

هز "يوسف" رأسه للأعلى وللأسفل:

- نعم جميعًا نعلمُ ذلك، ولكن بالعلم الشرعي نعرف الله عن قرب، نعلم اوامره ونواهيه، نعلم أساليب الدعاء، ونتعلم العلوم الذي تقربنا إلى الله، وبذلك إن علمنا يجب أن نُعلم غيرنا، ولربما أحدًا يهتدي بعد الله بسببنا!

- أتقصد مثلما يحدث معي ومعك؟

فُتر ثُغر "يوسف" باسمًا، ووضع قبلة على جبين "عصام" بحنو هاتفًا:

- أدعو الله أن يهدينا أجمعين.

- آمين، آمين هيا أكمل ماذا بعد؟

- حسنًا سأفعلُ ذلك حكم طلب العلم فرض كفاية إذا قام به من يكفي صار في حق الآخرين سنة، وقد يكون طلب العلم واجبًا على الإنسان عينًا أي فرض عين، وضابطه أن يتوقف عليه معرفة عبادة يريد فعلها أو معاملة يريد القيام بها، فإنه يجب عليه في هذه الحال أن يعرف كيف يتعبد لله بهذه العبادة وكيف يقوم بهذه المعاملة، وما عدا ذلك من العلم ففرض كفاية وينبغي لطالب العلم أن يشعر نفسه أنه قائم بفرض كفاية حال طلبه ليحصل له ثواب فاعل الفرض مع التحصيل العلمي.

ولا شك أن طلب العلم من أفضل الأعمال، بل هو من الجهاد في سبيل الله، ولا سيما في وقتنا الآن حين بدأت البدع تظهر في المجتمع الإسلامي وتنتشر وتكثر، وبدأ الجهل الكثير ممن يتطلع إلى الإفتاء بغير علم، وبدأ الجدل من كثير من الناس.

تحشرج "عصام" مُتسائل:

- هل هناك أدلة على حديثك؟

أغمض "يوسف" عينيه بثقة وكأنه على أوج الاستعداد لسؤال "عصام" هناك بعض الأدلة التي سأخبرك بها:

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (مَن سلَك طريقًا يَلتمس فيه علمًا، سهَّل الله له به طريقًا إلى الجنَّة).

- أنَّ الملائكة تحبُّ أهلَ العلم وتَضع أجنحتَها لهم في الطُّرق والمسالك؛ إكرامًا لهم وإجلالاً، قال صلى الله عليه وسلم: (وإنَّ الملائكة لتَضَع أجنحتَها لطالب العلم).

- أهل العلم أَتباع الأنبياء وخلفاؤهم وورثَتهم، قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: (نحن مَعشر الأنبياء لا نورث درهمًا ولا دينارًا؛ إنما نورث العلمَ، فمَن أخذه فقد فاز بحظٍّ وافِر، وإنَّ العلماء ورثَة الأنبياء).

حملق "عصام": «وهل العلماء ورثة الأنبياء؟»

- نعم، نعم يا عم عصام إنهم كذلك، وهناك أمرًا آخر قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28]؛ يقول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: "كفى بخشية الله علمًا، وكفى باغترار جهلاً" فالعلم يُعظِّمُ مقام الله تعالى في نفوس العلماء، فتراهم أكثر الناس خشية من الله عز وجل.

فالعلماء هم أشد الناس خشية لله عز وجل وأحقهم بها، وكلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال، المنعوت بالأسماء الحسنى، كانت المعرفة به أتم، والعمل به أكمل، والخشية له كانت أعظم وأكثر؛ يقول الحسن البصري رحمه الله: "العالم من خشي الرحمن بالغيب، ورغب فيما رغب الله فيه، وزهد فيما سخط الله فيه، ثم تلا الحسن البصري: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: 28].

فثمرة العلم هي الخشية من الله، وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: "وأهل العلم النافع كلما

ازدادوا في هذا العلم، ازدادوا تواضعًا لله، وخشية وانكسارًا وذلًّا".

أهل العلم يُنِير الله بصائرهم، ويجعلهم حجةً على المعاندين المكذبين:

قال تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: 6].

اتسعت ابتسامة "عصام" لتصل إلى أذنيه: «جميل ما أخبرتني به، سأبدأ بدراسته.. قاطعه يوسف:

- قبل أن تبدأ في طلب العلم، عليك أن تبدأ بحفظ كتاب الله القرآن الكريم، وفهم معانيه، وتفسيره، فأول طريق للتقرب إلى الله، وطلب العلم هو القرآن الكريم.

اماءة "عصام" رأسه بحماس:

- لنقول بسم الله، وابدأ من الغد.

رفع "يوسف" سبابة يده اليمنى باعتراض:

- ليس في الغد، بل منذُ اليوم؛ فإن غزاك الكسل فلن تُكمل، وعليك أن تعلم أنه كلما ازداد العبد تقربٌ من الله زاد الشيطان من وسواسه، ويبدأ ببث سمومه على عقلك وقلبك وأول سمومه: (الكسل، التسويف، الملل) فأحذر منهم، ستشعر في بداية الأمر بالثقل بالطاعات والعبادات التي تقوم فيها ولكن قمّ للوضوء، وأحزم نفسك إلى الصلاة، جدد عزيمتك، وأكثر من الدعاء، ستبتلُى وتضعف، وخطواتك ستُعرج وتثقل ولا تكاد أن تحملك ستشعر بذلك، لكن ذلك ليس إلا من عمل الشيطان ليشعرك بالانكسار والضعف؛ لتعود إلى ما كُنت إليه سابقًا.

تحشرج "عصام" قائلاً:

- ماذا إذا لم أستطيع فعل ذلك؟

- ستستطيع، قرب قلبك من الله، بوح له بكُل ما ترغب ببوحه، وتذكر دائمًا قوله تعالى: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وعليك برفاق الطريق فإن خيرٌ زاد في الطريق هو "الصحبة الصالحة" إن عوجت

يقومك، وإن وقعت يسندك، فو الله أن الصحبة الصالحة لخيرٌ زاد للطريق، أتذكر عندما النبي محمد صلى الله عليه وسلم أسري إلى بيت المقدس!

هز "عصام" رأسه:

- نعم أتذكر تلك الحادثة.

- وماذا فعل أبي بكر عندما كذبوا النبي عليه الصلاة والسلام؟

- قال إن قال لكم ذلك فقد صدق، وقد كان أبي بكر خير صديق للحبيب صلى الله عليه وسلم.

- وأنا منذُ اليوم سأكون لك صُحبة صالحة، وستكون أنت كذلك.

انفجرت أسارير "عصام" ضاحكًا قائلاً:

- يا خير بالصديق الصالح، يا خير بمؤذن للمسجد، يا خير بمن حافظ كتاب الله الذي أُنزل.

تحاضنا كلاهما بسرور، والدموع تتدفق من عينيهما ومن ذلك اليوم أصبحوا خير الرفاق.

بعد مرور عامين:

أتم "عصام" حفظ خمسة عشر جزءً من القرآن الكريم، وحفظ في صدره بعض الأحاديث لا تتجاوز العشرة، فكان كُل ما تضعف همته يسنده "يوسف" ويقوم بتذكيره فيما كان عليه في السابق فيعمل ذلك كالفتيلة في صدره ويشد همته ويعود ليكمل ما بدأ فيه.

تصلح حال "عصام" المادي والنفسي، حصل على عمل بعد مرور شهرين من حفظ القرآن الكريم، والمحافظة على صلاته وأوراده اليومية، وقيام الليل يقومه بين الحين والآخر تمرُ عليه ليالي لا يفعل ذلك؛ ولكن ذلك ما منعه من التوقف عن القيام، فكانت ترنو الآية برأسه قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ۝ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ۝﴾[المزمل: 1-3].

كان يستيقظ قبيل الفجر بساعة يصلي ويقرأ ما تيسر له من القرآن، وقبل ذهابه إلى عمله يعمل على مراجعة ما

حفظ من القرآن، وبعد صلاة العصر يذهب إلى المسجد يحفظ آية أو سورة جديدة.

لا يترك محاضرة في المسجد إلا ويجلس لسماعها، تعرف على صحبة صالحة كثيرة يشدون بيد بعض ويذكرون بعض بأنه كل شسْ لأجل الجنة يهون، وأن عوض الله سيكون أجمل بالجنة إن شاء الله، أما عن حال الدنيا؛ فإنها فانية سنتركها شئنا أم أبينا.

وما زال "عصام" و"يوسف" والصحبة التي جمعتهم يتدارسون فيما بينهم حفظ القرآن وطلب العلم، وفي الآونة بدأ "عصام" في إلقاء بعض المحاضرات يختمها بتلاوة من القرآن الكريم بصوته الذي يخشع السامعين.

الختام

"الطريق إلى الله ليس طويل، وليس ببعيد، ولكنه بحاجة إلى صبر، مكابدة، تجديد النوايا، وصقل للعزيمة".

هناك عبارة قرأتها على إحدى مواقع التواصل الاجتماعي:

"عليك أن تتذكر دائمًا إن حفظ القرآن مشروع لا يفشل وإن استغرقت في حفظه عشرة أعوام".

وأما الدنيا فليس دارنا ولا ديارنا موعدنا بالجنة إن شاء الله.

في رحاب طلب العلم

الأحداث التي تحدث منذُ بداية عام 2023؛ كفيلة بأن تعيد وجهة الشخص إلى الطريق الصواب، أما عن أحداث فلسطين فإنها تفوق الخيال مما يحدث معهم! ومن قوة إيمانهم بالله ويقينهم، وصمودهم.

إذ جاء قومٌ بعدنا سأخبره إنه كنا نسمع عن شجاعة الصحابة رضون الله عليهم منذُ آلاف السنين في الكُتب وعلى لسان الشيوخ، ولكن الآن نراهم أمام أعينا على أرض فلسطين!

لذلك قمتُ بكتابة قصة "طالبُ للعلم" بعيدًا عن الأحداث التي تحدثت؛ لتكون لي شفيعٌ يوم القيامة "يوم لا ينفعُ مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم".